بقلم : حليم بركات

غسان كنفاني..
الموت طريق الى الشمس

غسان حلم جميل في ليل عربي حار . نهر الزمن ينظل ينوح ، يعمل في النفوس ، يوحي ، يشع بضوء الرؤيا المضيء في الصحراء العربية . يحول الليل الى صباح ، فهو بداية دائمة .

غسان ظاهرة سيادية تجمع بين طاقات متعددة بسلاح وتعمل باستخدام في خدمة قضية هي من اعدل القضايا واسلمها . انها قضية تحرير الانسان ، وتحرير في فلسطين هو تحرير الانسان في كل مكان وكل زمان . افضل غسان بتكثيفاته ودفعه واحدة وباسلوب هادر ، فكان وما يزال كالبرق والرعد والمطر فوق صحراء حياتنا . الرمل يتحول الى تراب ، والتراب يكسي بالعشب والزهر .

غسان رؤية، لذلك هو مستقبلي . والرؤية واضحة كالضوء . من خلالها نرى الواقع . اجزاؤه ليست متباعدة منعزلة ، بل مترابطة. الفلسطيني والعامل والمرأة وجميع ابناء شعوب العالم الثالث يملكون قضية واحدة هي قضية تحرير الانسان من العسف والظلم والاستغلال والقهر والتغريب الى سلع في اسواق المدن الكبرى . العنف ليس في المشردين والمقهورين والمسلوبين والمنهبين ، بل في هذه القوى المسيطرة الحاكمة الآيلة المتخمة المغتصبة بالتهذيب والاعتدال والروح الرياضية والحرية . لا تملك شيئا من ذلك .

الشيء الاساسي الذي تملكه وتؤمن به وتمارسه هو حرية الاستغلال ، ولها كل القوى والمؤسسات التي تحميها وعندها كل وسائل القهر . لذلك ليس من طريق الى تحرير الانسان سوى طريق العنف الثوري كل هذا كان واضحا في ذهن غسان ، ولذلك كانت كلماته كالسهم .

تطور غسان منذ طفولته في القضية الفلسطينية ومن ضمنها ونضج بفعل تيارها كل كلمة كتبها كانت بوحيها ومن اجلها . كانت محور حياته . اشرق فيها وعليها ، وغرب فيها ومن اجلها . وكما الشروق يعني بداية الغروب ، كذلك الغروب يعني بداية الشروق .

اختار غسان احد طريقين اصبحا واضحين في الحياة العربية : طريق الخضوع للواقع والقبول به ، واما طريق العنف الثوري .

طبعا اختار غسان طريق العنف الثوري ، وبذلك اختار طريق الموت في سبيل تحرير الانسان . اختار رغم علمه بالنتائج . اختار ان يتعرض للخطر في اية برهة وفي اي مكان . ان القبول بالواقع قبول بالظلم والقهر والنفي والتشرد والاستغلال والخضوع . رفض غسان هذا الواقع ، وبرفضه عرض نفسه للموت الذي كان ينتظره عند اي منعطف . كان يعرف يقينا انه ينتظره ، ولكنه كان يسعى عليه ويسخر منه ويتحداه . انه طريق تحرير الانسان . بذلك يختار الانسان قدرا جديدا هو صنع يديه .

ولانه صنع استشهاده ، سيظل غسان طاقة هائلة تحرك الوجود العربي . سيظل يوحي ويشع ويفجر ينابيع الخلق في حياتنا . وسر عظمته انه رفض الخضوع واختار الموت طريقا الى الشمس ■

بقلم : منى السعودي

ايديولوجيا الموت

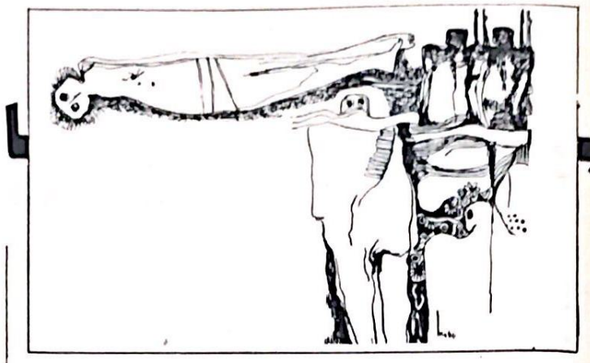

١ ـ المضيء

حين رآه لاول مرة « كان محاطا بشيء يشبه المضيء » وكان يحث خطى عروس وتدفقة عاصفة ، وطرح السؤال ، وساله عنهما ، فاخذ يتكلم بقسامه وسال عن تدفقة عاصفة.

كان الزمن زمن ما قبل الولادة ، حين كان الحنين الى السلاح يسبب من بين شوق الحرح الاول ، ومما هذا الحنين وتدفق في الالم والحلم والرفض والسؤال عبر الكلمات والاشخاص الذين رسم غسان فيهم خريطة فلسطين ، جرحها وسفلها ، رسمهم في مرآة بعمق الواقع ، عابرا معهم في الصحراء والدم والوهم والفزيعة والثورة ... وكان دائما مهاجما ، مخرمشا ، يخرق الزمن ـ النفق الى الزمن المقبل ـ الحياة ، اعاد خلق الواقع المشوه المقلع ، حيث صار البرتقال بكاء ، ارضا بابسة ، وصارت الخضراء صحراء النفي والموت .. وصار المنى ان يكون الفلسطيني تحديا .. او ان يموت ، وصار تحديا.. وصار موتا ..

٢ ـ العاشق

كتب غسان عن فلسطين ولم يكتب عن غيرها، واحبها ولم يحب غيرها ، ورسمها ولم يرسم غيرها ، ونقشها على جدران قلبه وجلده وعينيه ومكتبه، وقلما تحدث عن غيرها ... عن مقاتليها الذين عرفهم طفلا او سمع عنهم ، مخيماتها وبؤسها ، وعن الذين احبوها والذين خانوها او خدعوها ، وعن الذين ماتوا يبحثون عن لقمة العيش بعيدا عنها .. واهدى كتبه لابنائها ، وشهدائها والذين لم يستشهدوا بعد ، عاشق لوطنها ، اتحد بها وكتب لها دون توقف ـ حتى حين كان الزوار يملؤون مكتبه ـ وفي كل المجلات والجرائد ... وركضي ، وركضي ، وحين انحنى قوس الثورة كان الوقت قد حان ليخاروه من بيننا ، وكان قد اكل صنع زمنه بفرح وترك للاخرين المسافات الباقية ..

٣ ـ الحياة مقابل الحياة

يتحدث الرفاق انهم حذروا غسان ونصحوه، بل امروه باخذ الاحتياطات اللازمة ... قرات في قصة كتبها يقول : « لم تكن عنده مقدرة شم الموت كما كانت عنده قدرة احساس الحياة .. وقالوا له مرة ان هذا خطا مهلك .. وان الحياة لا قيمة لها ان لم تكن دائما واقفة قبالة الموت ولكنه لم يبالي » (٢)

هكذا نفذ الحياة لديه ، في الفعل ـ الثورة ، مقابل الحياة ، ولا يكون الموت النقيض ، بل حركة ـ لحظة الدخول في فضاء اخر ـ اقرب ...

ان كان بقاء الثوري ضروريا للاستمرار في الثورة ، فموته ضروري ايضا ... للاستمرار في الثورة ..

٤ ـ الحزن

رماد ابيض ، ليس للفرح ولا للحزن ، ربما للوقوف طويلا في سؤال الزمن والتاريخ ، ورسم علامات كثيرة للتعجب والاستفهام ، وعلامة للقدرة على غسل العين ، والمضي ، بلا ملك ولا املاك ... في البحث ، ووصل الجسد بجسد الارض ـ الحلم ـ الاخرين (الرفاق الذين ماتوا، والذين ما زالوا) الاجنة تمتد اعينهم لتغسل الاحزان والدم عن وجه الايام ـ هكذا نجد كلنا ، في العين العارية ، والبحث عن الجلوز ، بلا ملك ولا املاك) .

٥ ـ الدعوة

استشهاد غسان وباسم وصلاح ، عيد في هذا الزمن اليائس ، لقد دعوه عندهم هؤلاء الرفاق الذين اتوا من الجزيرة البعيدة ، من طرف الارض ، حملهم حلم الثورة ـ ضرورة الثورة وحب الفقراء والانسان ، وماتوا على ارض فلسطين ، هكذا ارادوا ان يصلوا الارض من اقصاها الى اقصاها بدم واحد يمتزج بدم ثوار فلسطين وشهداء ايلول ، وناداوا غسان ان ياتي اليهم ، الى فلسطين ـ الولادة ..

ولبى ...

همسوا في اذنه ، ان الموت هو الفعل المولد .. وانه ، هناك في بلادهم يحبون ان يجونوا في يده الريح، لتطير عليهم البراعم البيضاء، وتنشد لهم الطبيعة ..

« كم هو من الضروري ان يموت بعض الناس من اجل ان يعيش البعض الاخر ، انها حكمة قديمة، اهم ما فيها الان انني اعيشها » . (٣)

١ غسان كنفاني « عالم ليس لنا » .
٢ غسان كنفاني « ارض البرتقال الحزين » .
٣ غسان كنفاني « منصف ايار » .

الحكمة القديمة

بقلم : منير العكش

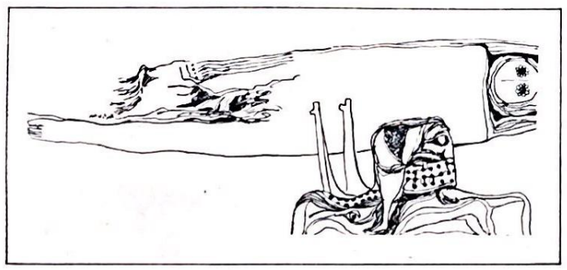

بموت غسان اكتملت حلقة وجوده . اذ لولا موته لظلت حياته مجرد استمرار . ومع ذلك فان موت غسان لم يكن توقفا لوجوده بقدر ما كان كشفا عن حقيقة وجودنا نحن ، عن قيمته ومعناه. انه الموت الذي فضح فجاة ظلمة العدم في ضمائرنا وذواتنا ، وصدم هذا الموت الكبير الذي نحياه .

اما اذا لم يكن موت غسان كذلك فاية مهزلة كبيرة ضحى بنفسه لاجلها ، واية مرارة ان يموت الانسان وحيدا من اجل عالم ينسوي فيه الوجود والعدم .

كل ما نراه من حولنا يشير الى ان موت غسان ، لم يكن يعني في الحقيقة الا غسان نفسه ، وانه لم يترك لنا الا مناسبة نتبارى فيها على صياغة الكلام . لقد ضاعف ذات الموت وعجب صفاته ، وذهب غسان ضحية ابمانه بنا نحن الخونة صياغ الكلام . ان ذلك الساخر الكبير لو اعاد تجربة الحياة لجعل همه تدمير البلاغة العربية .

ومع اننا لم نكن نطمح في ادراك موتنا الجماعي ـ لاستحالة ادراك موت الاخر ، او معاناته ، ولان ما كابده غسان في تجربته الخاصة جدا لا يعرفه الا هو وحده ، تلك المعرفة التي نعترف معه ، ولم يبق لنا منها الا مظاهرها الخارجية، وباعتبار اننا لا نستطيع ان نستعير تجربة الموت او نمارسها اكثر من مرة ـ الا ان مراقبة موت غسان من الخارج ليس الا مراقبة لموتنا الخارجي . انه بتعبير اخر : ذلك الغلاف الكبير من العيون المحدقة والخانقة التي ترتدينا نحن ساعة موتنا . اي ان موت غسان هو امكانية لعدة معارف :

الاولى : ان الموت الاختياري الذي جعله غسان طريقا لحياته هو اختيار شخصي الى ابعد حد ، لم يلامس بعد الا قشرة ضمائرنا . انه تلك النبتة المزروعة في غير اوانها وترتبها. ولذا فاننا نحن الذين نستطيع ان نمنح هذه التجربة الفردية معنى ، كما نستطيع بالمقابل ان نجعلها مناسبة لتثرثرنا العابرة .

اي اننا ، بتحويل تجربة الموت الى مغامرة جماعية نكون قد انقذنا فكرة الموت العربي نفسها من عدميتها ولا جدواها . ان حركتنا وكلامنا ودفاء قلوبنا لا تعني مطلقا اننا احياء، بل ان هديرها الخامل اشارة الى موت مركب يغمر كل الحياة العربية . لقد صار الموت لنا بعد تجربة غسان هما لغويا: اننا برئيه احسن، ويقول فيه الكلمة الافضل . ان اللغة هي طريقنا الجماعي الاكثر امنا للهرب من العالم . ولذا فاننا نندب غسان او نعزي به كمن يصرخ في الظلام ليبعد عن نفسه الخوف .

اننا ما زلنا نفقد الشجاعة الكافية لمواجهة تجربة الموت دونما كلام . هنا لا بد من الاشارة الى ان المقاومة نفسها حين اهتمت بالملفة وضعت نفسها في مازق مناهي سلبها معظم قدرتها على الحركة ، وان غسان نفسه كان من المشاركين في صناعة هذا الماء . لقد كان موت غسان اكثر بلاغة واقناعا من كل ما كتبه وقاله هو وجميع الاحياء .

الثانية: ان الموت الفجائي ليس ايديولوجيه، لانه واقعة غير معقولة ، ولا يحقق شيئا ، ما دامت حوادثه تتم بالمصادفة . ولذا فان اختيار الموت وتحويله من المصادفة الى الممارسة اليومية هو محاولة لعقلنة الموت واعطائه امكانية الفعال الحياة . اي انه يمكن ان نجعل الموت ـ برغم فردانيته ـ وسيلة من وسائل الانتاج الاجتماعي، حين لا نترك غسان يموت وحده . وبدلا من ذلك العبث الذي يجعل « هيدجر » فيه الوجود ـ للموت ، نستطيع نحن ـ وبداية من موت غسان ـ ان نجعل الموت ـ للوجود ايديولوجيتنا الاجتماعية الوسيطة بين موتنا الذي نحياه ، وحياتنا التي لا نجدها .

الثالثة : ان اختيار الموت هو نوع من وعي الوجود ، وبالتالي فان غسان لم يختر طريق الموت الا وعيا لحركة ذاته وحركة العالم من حوله . ان فرصة نجاح تجربة غسان فينا لن تتم الا بوعي معاكل، وعي اختيار الموت والانتماء اليه بحيث يحس الانسان نفسه باستمرار ليربح العالم .

ان غسان لم يستطع ان يكون حضورا حقا بالنسبة الى نفسه الا حين وضع حقيقة الغير، اي حين كان بالنسبة للموت من حوله مفتوحا ونحت تصرفه بوعي كامل . اننا بدون وعي العالم حماسة لا فائدة فيها ، كما اننا بدون وعي الموت عالم لا حياة فيه .

بقلم : سمير الصباغ

في البدء كانت فلسطين

حين استيقظ ، وجد نفسه في منفى بين الصحراء والشمس ، والوطن صورة ، قبل من الدمع ، جرح ، وحكاية غامضة .

ومنذ سمع خفقات قلبه ، راح يرسم لخطواته الطريق ولعينيه وجها يرتقاليا للوطن .

فلسطين !

كتب اسماءها ، تحدث عن لون آهاتها حكى عن دمع عيونها ، بنى لها قبة في القلب اجللها بين الحرف والحرف ، وراح منذ ان شاهد يديه بينهما حجرا حجرا ، وغصنا غصنا وكلمة كلمة .

في البدء كانت الصحراء .
في البدء كان الالم
في البدء كان الغياب

جاء من الغياب ، صوتا صارخا في البرية : اعدوا طريق الوطن ، جاء يشهد ان حدود الوطن ليست الارض والجبال والسهول والاشجار بل خفقة تنبض في حنايا القلب .

في البدء كانت فلسطين .

هي الجذور وثمرة الفصول ، ما ينتظر وما تسعى اليه البنابيع ، وفلسطين غسان كنفاني هي الانسان والمعنى. كل جرح في الانسان جرحها وكل ضوء فيه ضوؤها . ولما كان انسان غسان كنفاني منفيا ومشردا وجريحا راح يسعى الى غسل نفيها وتشردها وجراحها بصوته وانفاسه ولفته واحلامه .

لم تكن فلسطين ابعد من جلده ، كانت نبتة احشائه تنمو معه في الطريق والنضال والبكاء والنوم . كانت قصصه وروايات ومقالاته وثورته وحبه واولاده . فالوطن ليس المدن والطرقات ، بل ضوء العيون وهمسات الصدر .

كانت فلسطين بالنسبة لغسان كنفاني الرواتي هي الفن ، ولغسان السياسي ، السياسة وللثائر الثورة وللانسان الانسانية .

فلسطين محلة ؟ منفى ؟ قضية ؟ جريحة ؟ اذن الفن والسياسة والثورة والانسانية في ضياع : سقط العالم .

وصعد غسان كنفاني جبل الجلجلة ، لم يقل ابعد عني يا ابي هذه الكاس ! بل قربها من شفتيه . وهذه المرة لن يقوم في اليوم الثالث كما جاء في الكتب ، لانه لن يموت ، بل صعد ليشهد ويولد ■